

دور الشعب الإيراني في إدارة البلاد

المكان: مدينة كرمانشاه

الزمان: 1390/7/20 ش. 1432/11/14 هـ. 2011/10/12 م.

المناسبة: زيارة الإمام الخامنئي لمحافظة كرمانشاه

الحضور: حشود غفيرة من أهالي مدينة كرمانشاه في اليوم الأول لزيارته

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأئمة الأطهارين المنتجبين الهداة المهديين المعصومين سيما بقية الله في الأرضين.

أنا مسرور جداً وأشكر الله تعالى أن وفقني اليوم - على الرغم من التأخير - للحضور بينكم أهالي كرمانشاه الأعزاء الأوفياء المؤمنين. إذا كانت زيارة مدينتكم ومحافظتكم قد تأخرت فهذا لا يقلل من أهمية هذه المحافظة وأهاليها الأعزاء. هذه المحافظة من حيث المكانة البشرية والطبيعية والجغرافية من المحافظات الممتازة في بلدنا العزيز الواسع. في بداية كلامي أذكر نقاطاً عدة في مناقب كرمانشاه وأهاليها الأعزاء.

بعض الخصوصيات الإيجابية المشتركة بين الناس والجماهير في كل أنحاء البلاد، لكن بعض الخصوصيات بارزة وعميقة في بعض المحافظات أكثر. عرفنا أهالي كرمانشاه منذ القدم بالمروءة والبطولة والوفاء والعطف، أناس يدارون الغرباء ويحسنون الضيافة، وباختصار يتحلون بمواصفات البطولة والمروءة الحسنة. هذه من الخصوصيات التي تتألق في كرمانشاه، والكل يعرفون هذا ويشعرون به من بعيد وقريب.

ما كان يدفعني للثناء على كرمانشاه دائماً هو أن أهالي هذه المحافظة عاشوا ويعيشون إلى جوار بعضهم بمحبة وسلام ومداراة وأخوة على الرغم من تنوعهم القومي والمذهبي وحتى اللغوي. هذه

سمة جد إيجابية يجب الإصرار عليها وصيانتها ومضاعفتها. العشائر وحماة الحدود الغيارى في هذه المحافظة، في كل أنحاء هذه المحافظة، يعرفون بهذه السمات العشائرية الغيورة.

في سنة 59 أي بدايات الحرب المفروضة تجوّلت في كل أنحاء هذه المحافظة وشاهدتها عن كثب. في كيلان غرب وإسلام آباد حيث الأهالي من الشيعة، وفي پاوه وأورامانات حيث الأهالي من السنة، وفي ريجاب ودالاهو حيث توجد فئة من أهل الحق، في كل مكان كان الناس يدافعون ويبدون حبّهم لنظام الجمهورية الإسلامية. ونفس هذه الروح التي شاهدتها في مناطق المحافظة المختلفة شاهدتها أيضاً في مركز المحافظة الذي يضمّ نماذج متنوعة من القوميات والعشائر. هذه صفة ممتازة.

كانت فترة الدفاع المقدس اختباراً كبيراً لهذه المحافظة. حرب الأعوام الثمانية بدأت من هذه المحافظة واختتمت في هذه المحافظة. كانت الهجمات الجوية الأولى للنظام البعثي العراقي على هذه المحافظة وعلى مدن هذه المحافظة - على إسلام آباد و كيلان غرب وباقي المناطق الحدودية - وأول اعتداء حدودي كان على قصر شيرين في هذه المحافظة. أي إن هذه المحافظة كانت طوال هذه الأعوام الثمانية في حالة دفاع و صمود وشجاعة. وقبل نشوب الحرب المفروضة منذ بداية الثورة كان هذا هو حالها. بعد شهر من انتصار الثورة - أي في إسفند سنة 57 - كان الشباب من كرمانشاه هم الذين ساروا للدفاع عن معسكر لواء سنندج. أول الجامع التي تعبّأت للدفاع مقابل أعداء الثورة وسارت للدفاع هي من كرمانشاه وبعضهم أضحوا من الشهداء المعروفين في كرمانشاه.

وكانت هناك شخصيات بارزة وممتازة في الأدب وفي شتى صنوف الفن، في الشعر، وفي الخط، وفي العلوم - العلوم التقنية والهندسية، والعلوم الأمّ، والعلوم الدينية - وفي الرياضة من هذه المحافظة في الماضي البعيد والقريب. وهم موجودون اليوم أيضاً والحمد لله. توجد في هذه المحافظة عوائل علمية معروفة لها سوابق علمية في هذه المدينة وفي هذه المحافظة تمتد أجيالها إلى أكثر من قرن وقرنين. أي إن هذه المحافظة محافظة بارزة من حيث الطاقات والمواهب الإنسانية.

دور النسوة في هذه المحافظة دور مميز. ليس لدينا في أي محافظة من محافظات البلاد - باستثناء محافظة أخرى غير كرمانشاه - هذه العدد من النسوة الشهيديات والمعاقات اللواتي استشهدن

وتعوقن في أحداث الدفاع المقدس. النساء اللواتي استشهدن هنا في جبهات القتال واللواتي استشهدن في قصف الأعداء لا يوجد لهن نظير في كل أنحاء البلاد باستثناء مكان واحد. وهذه أيضاً من المميزات الاستثنائية.

والوضع الطبيعي للمحافظة متناغم مع هذا الوضع الإنساني، ففيها وضع طبيعي ممتاز. سواء من حيث الوضع الطبيعي أو من حيث الموقع الجغرافي تعدّ هذه المحافظة محافظة ممتازة. ففيها قابلية عالية جداً للزراعة، وتتوفر فيها مياه سطحية جمة، وهي بالطبع مياه لم يجز احتواؤها والسيطرة عليها للأسف. ومن الأعمال التي يجب إنجازها في هذه المحافظة السيطرة أكثر فأكثر على المياه السطحية. في هذه المحافظة أراض خصبة وتربة طيبة خصبة ومساحات من الأرض قابلة للزراعة. في هذه المحافظة أكثر من ثمانمائة ألف هكتار من الأراضي المناسبة للزراعة والفلاحة. وهذه المحافظة مناخ متنوع وفيها إمكانيات ومواهب صناعية ومعديّة. وبسبب موقعها الجغرافي فإنها من حيث التواصل مع الخارج والارتباط بمختلف مناطق البلاد ذات قابليات تجارية ومواصلاتية ملحوظة. ثمة عدة مراكز تجارية مهمة في البلاد تقع على مسافات متساوية وقرية من هذه المدينة والحفاظة. كما أنه بسبب الطبيعة الجميلة والآثار التاريخية الفريدة فيها تعدّ ذات قابلية سياحية. هذه خصوصيات طبيعية وجغرافية وإنسانية في هذه المحافظة. فنظراً لهذه النقاط الإيجابية الممتازة، يجب أن يكون الشباب في هذه المحافظة مفعمين بالأمل والحيوية والميل للعمل. ليتنبّه شباب المحافظة وليعلموا في أي مكان ومنطقة حساسة وذات امتيازات يعيشون. طبعاً ثمة مشكلات، وعلى المسؤولين إنشاء الله أن يعقدوا الهمم على رفع هذه المشكلات، وعلى رأس مشكلات هذه المحافظة مشكلة العمل والعمالة. قضية العمالة هنا أكثر حساسية من المعدل العام للبلاد، وينبغي إيلائها في هذه المحافظة اهتماماً خاصاً.

زيارتنا هذه المحافظة - والتي ستستمر لعدة أيام، ولدي برامج وأنشطة متنوعة معكم أيها الأهالي الأعزاء سواء في هذه المدينة أو في بعض المدن الأخرى - جاءت في ظرف زمني حسّاس. في كل يوم تصل أخبار جديدة من هذه المنطقة ومن العالم. القضايا الجارية في منطقتنا حالياً والتي برزت وانعكست في كل العالم قضايا لا سابقة لها. سواء القضايا التي تجري وتحدث في المنطقة أو القضايا التي تحدث في العالم الغربي، أي في أوروبا وأمريكا. ظروف العالم ظروف حساسة، وهي طبعاً

لصالحنا. في مثل هذه الظروف من المناسب جداً أن يكون للشعب الإيراني نظرة شاملة جامعة لوضعه، ونظرة ذات بصيرة لوضع العالم.

استفيد اليوم من هذه الفرصة وأشير إلى بعض القضايا المهمة ذات الصلة بشعبنا العزيز وبلادنا والتي يجدر التنبيه لها والتذكير بها في هذه الفترة من الزمن. قضيتنا الأصلية هي قضية الناس والجماهير، تواجد الجماهير، وميول الشعب، وإرادة الشعب، والعزيمة الراسخة للشعب. هذا شيء يجب أن نقوله، دور الشعب في كل التطورات والنهضات الاجتماعية الكبرى على تنوعها، دور معياري. بمعنى أن اتساع تطور من التطورات، وانتشار فكرة من الأفكار، واتساع نفوذ مصلح اجتماعي من المصلحين منوط بمدى ارتباطه بالناس. كلما كان ارتباطه وارتباط ذلك التيار وتلك النهضة وذلك التطور بالجماهير والشعب أكثر كلما ازدادت إمكانيات واحتمالات نجاحه أكثر. وإذا انقطع عن الناس فسوف لن يستمر طويلاً ولن يستطيع إنجاز شيء. طبعاً، لم يكن تغير السلطات ومجيء سلالات السلاطين وزواها في تاريخ بلادنا ذا صلة بالشعب، ولكن نفس هذه الدول الملكية والحكومات التي حكمت طوال تاريخنا، التي استطاعت منها تمهين علاقتها بالناس وجعلها علاقة دافئة صديقة كان استمرارها ونجاحاتها في إدارة البلاد وفي تحقيق العزة الوطنية أكثر. وكل دولة انقطعت عن الناس فقدت كل شيء، والنموذج التام لذلك الدولة القاجارية والدولة البهلوية المشؤومة في الفترات المتأخرة. لدينا تجربة الثورة الدستورية في العصر القريب منا، ولدينا تجربة تأمين النفط. شارك الناس في هاتين التجريبتين وكانوا السبب في انتصار هاتين النهضتين، لكنهما انقطعتا عن الجماهير. في نهضة الثورة الدستورية ركب الإنجليز بمكرهم وحيلهم وأخاديعهم أمواج الثورة الدستورية وأقصوا الشعب والقادة الشعبيين وانتهت الثورة الدستورية إلى تعسف رضا خان.

وفي قضية تأمين النفط أيضاً في مستهل عقد الثلاثينات الشمسية [الخمسينات الميلادية] في بلادنا كان الشعب هو السبب وله دور مؤثر وكان لتواجد الجماهير أثر بالغ في نجاح النهضة، ولكن سرعان ما انفصلوا عن الناس وتنكروا لهم، فجاء الانقلاب الأمريكي وقبض على المقدرات والأمور، وعاد البلد ثانية إلى الاستبداد.

طوال تاريخنا لم يكن هناك أي حدث مثل حدث انتصار الثورة الإسلامية والأحداث التي تلتها كان للشعب فيها دور مباشر. في الثورة الإسلامية شارك الناس، كل الناس، كل شرائح الشعب،

من مدينيين وقرويين، من نساء ورجال، من شيوخ وشباب، من متعلمين وأمين، كلهم شاركوا إلى جانب بعضهم. ومع أنهم لم يعتمدوا على سلطة أو قوة أو عسف، ولم يكن لديهم سلاح، ولو كان لديهم لم يكونوا ليستخدموه، لكنهم استطاعوا إسقاط نظام مدجج بالسلاح يعتمد على القوى الاستكبارية إسقاطاً تاماً وتحقيق النصر للثورة. بيد أن النقطة الأساسية في ثورتنا هي أن دور الشعب لم ينته بانتصار الثورة. وهذا من حكمة إمامنا الخميني الجليل وعمق ذلك الرجل الحكيم المعنوي الإلهي. لقد عرف الإمام الخميني الشعب الإيراني بشكل جيد، وآمن بالشعب الإيراني وبسلامته وصدقه وعزيمته الراسخة وقدراته. في تلك الأيام كان هناك من يقولون: طيب، لقد انتصرت الثورة فليذهب الناس وليعودوا إلى بيوتهم. لكن الإمام وقف بصلافة وسلّم الأمور والأعمال للناس. أي بعد خمسين يوماً من انتصار الثورة تمّ تعيين النظام السياسي للبلاد من خلال استفتاء شعبي. أنظروا للثورات المختلفة لتظهر لكم أهمية هذا الأمر. بعد خمسين يوماً من انتصار الثورة علم الناس أي نظام يريدون. هم أنفسهم حضروا عند صناديق الاقتراع وحددوا بتلك الأصوات العجيبة والتاريخية أنهم يريدون نظام الجمهورية الإسلامية. في القرنين الأخيرين - وهي فترة الثورات الكبرى - لم يحدث هذا في أية ثورة من الثورات أن يجري تعيين النظام الجديد من قبل الجماهير أنفسهم وليس بواسطة عامل آخر بعد هذه الفترة القصيرة.

بعد ذلك ومن دون تأخير تابع الإمام الخميني الجليل قضية الدستور. ولا أنسى أنه في شهر اردبهبشت أو خرداد من عام 58 أي بعد انتصار الثورة بثلاثة أو أربعة أشهر بعث الإمام الخميني على شورى الثورة التي كنا فيها لشأن مهم كي يحضروا في قم. وذهبنا إليه هناك. ولا أنسى حالة الغاضب للإمام الخميني الذي قلّ ما شاهدت نظيراً لها عنده. كان يقول لماذا لا تفكرون بفعل شيء للدستور. هذا في حين لم يمض على انتصار الثورة سوى ثلاثة أشهر. واتخذ القرار في تلك الجلسة على إقامة انتخابات مجلس خبراء الدستور. وأقام مسؤولو البلاد - وهم في الحكومة المؤقتة - الانتخابات. شارك الناس في انتخابات عامة وعينوا نوابهم وهم خبراء دستور البلاد. وقام هؤلاء الخبراء بتدوين دستور البلاد طوال عدة أشهر. ثم قال الإمام مرة أخرى إن هذا الدستور الذي جرى تدوينه يجب أن يعرض على أصوات الشعب. ومع أن نواب الشعب هم الذين دونوا الدستور لكن الإمام الخميني قال إن أصوات الشعب يجب أن تشارك مرة أخرى. لذلك أقاموا استفتاء الدستور وصادق الشعب بنسبة عالية على الدستور. وعلى ذلك لم ينته دور الشعب بعد انتصار الثورة. واستمر هذا الدور في إدارة البلاد. لم يكن قد مضى

على انتصار الثورة أكثر من سنة عندما انتخب رئيس الجمهورية طبقاً للدستور. وبعد عدة أشهر تمّ انتخاب مجلس الشورى الإسلامي. ومنذ ذلك التاريخ وإلى اليوم وعلى مدى اثنين وثلاثين سنة جرى دوماً انتخاب خبراء القيادة، ورؤساء الجمهورية، ونواب مجلس الشورى الإسلامي، ونواب المجالس البلدية من قبل جماهير الشعب. الشعب نفسه هو الذي يقرّر ويشارك وينتخب، والأمور بيده. مشاركة الشعب في إيران هي مثل هذه المشاركة البارزة الراسخة.

طوال هذه الأعوام المتتالية تولت الأمور حكومات متنوعة وسلاطع سياسية متنوعة - وقد كانت هذه الأذواق والسلاطع السياسية المتنوعة موجودة في مجلس الشورى وفي السلطة التنفيذية أيضاً - وقد كان البعض يختلفون حتى مع أصول النظام، لكن السعة والاستيعاب الهائل للنظام استطاع من دون أن يبدي أي تدمر أو تبرّم أن يتخطى كل هذه المسائل والأمور، وأن يهضم ويعالج كل هذه المشكلات في داخله، وذلك بفضل تواجد الشعب وإيمانه والتزامه بالنظام الإسلامي. أي إن الشعب يعتبر نفسه مالك البلد وصاحبه. في الماضي كانوا يقولون دوماً إن للبلد صاحبه، وكان قصدهم أن الأمير الفلاني أو الحاكم الفلاني أو السلطان الفلاني هو صاحب البلد! ولم يكن للشعب من دور أو تأثير. واليوم يعلم الشعب بفضل الثورة الإسلامية أنه هو صاحب البلد، فصاحب البلاد ومالكها هم الجماهير أنفسهم.

حينما نعيد قراءة تجربة الثورة الممتدة لاثنتين وثلاثين سنة ندرك أعماق حكمة الإمام الخميني وتدبيره. لماذا؟ لأن أي نظام على غرار نظام الجمهورية الإسلامية، وبمثل هذه المثل العليا، وبكل هذه الخصومات والمعارضات التي يبديها الاستكبار ضده، وكل هذا اللاعدل الذي يواجهه على الصعيد الدولي، وبوقفته بوجه شياطين القوة في كل أنحاء العالم، له طبعاً أعداء أقوياء عتاة. هؤلاء الأعداء يخلقون له التحديات والمشاكل. مثل هذا النظام إذا أراد أن يبقى فيجب أن تحرسه قوة وإمكانات هائلة حتى يستطيع الوقوف والصمود والتقدم وعدم المراوحة. في الثورة الإسلامية وتبدير من الإمام الخميني - وهو تدبير مستمد من أساس الإسلام - كانت هذه الطاقة الحارسة هي إرادة الشعب وعزيمته ومشاركته وتواجهه في الساحة. لذلك خاض النظام الإسلامي التحديات وانتصر عليها. يمكن القول بكل ثقة إن الجمهورية الإسلامية انتصرت لحد الآن على كل التحديات الصلدة والناعمة التي اعترضت طريقها، ويعون من الله وبفضله وهدايته سوف تنتصر في المستقبل أيضاً على كل التحديات التي تعترض دربها.

الحرب المفروضة التي طالت ثمانية أعوام هي من التحديات الكبرى التي قامت أمام البلاد منذ بدايات الثورة. لم تكن القضية مزاحاً أو هزلاً.. ثمانية أعوام. فرضوا حرباً على هذه البلاد. أي نظام في مثل هذه الظروف وبعدم الاستعداد الذي كان بشكل طبيعي في بداية الثورة كان سيهزم ويندحر، لكن بلدنا العزيز ونظام الجمهورية الإسلامية المقدس لم ينكسر، بل انتصر. لقد أديرت الحرب من قبل الشعب. الجيش وحرس الثورة الإسلامية ومختلف القوات كانت معتمدة على الشعب والناس، على إيمان الناس، وحبّ الناس، ونقاء الناس وإخلاصهم. من الخطوط الأمامية إلى كل خطوط العمليات وحتى الخطوط الخلفية للجهة ومواقع الإسناد، كان الناس مستعدين للتضحية بإخلاص وصدق مثالي لا ينسى. الذين عاشوا فترة شبابهم بعد تلك الفترة لا يتذكرون للأسف. ما أجمل أن تعاد قراءة هذه الأحداث الممتازة البارزة الجميلة.

في نفس مدينة كرمانشاه هذه أخبروني أن منطقة جعفر آباد قصفت ذات مرة وبقيت عائلة من العوائل تحت الأنقاض. توجه شباب القائم مقامية لمساعدتهم واستخرجوهم من تحت الأنقاض. وجاء ربّ هذه العائلة الشيخ بعد ذلك للقائم مقامية. كان يشكرهم لأنهم أنقذوه. قال له المسؤولون في القائم مقامية أعطنا لائحة خسائرنا لنساعدك ونعوّض ما فقدت. أخبروني أن الشيخ قال لهم: وا أسفاه عليك أيها المواطن! وهل جئتُ هنا من أجل جيفة الدنيا؟ لاحظوا أنه من كرمانشاه! هذه العبارة عبارة زاخرة بالتضحية والتجاوز تصدر من إنسان رفيع النفس. والنماذج في مدينتكم هذه وفي محافظتكم هذه كثيرة. يمكن ملاحظة مثل هذه النماذج في كل مناطق العمليات في غرب البلاد وجنوب غربها وشمال غربها. هذه أشياء لا يمكن أن نجد لها نظيراً في الشعوب الأخرى. لا يمكن العثور على نماذج بارزة مثل هذه وبهذه الوفرة. الناس هم الذين أداروا الحرب وعملوا وبذلوا الجهود.

من التحديات الكبرى الأخرى هو هذا الحظر الاقتصادي والمقاطعة. يتحدثون اليوم عن الحظر، وليس الحظر بالشيء الجديد علينا. منذ العام الأول لانتصار الثورة بدأت حالات حظر من طرف واحد عملت بها أمريكا والبلدان الأوروبية، ووصلت هذه المقاطعات ذروتها خلال سنوات الحرب. قلت ذات مرة إننا أردنا استيراد أسلاك شائكة من الخارج فلم يكن البلد الذي يجب أن تعبر هذه الأسلاك الشائكة من خلال أراضيه - الاتحاد السوفيتي السابق - لم يكن يسمح بمرور هذه البضاعة عبر أراضيه لتنتقل إلى إيران! والبضاعة لم تكن بضاعة عسكرية هجومية، كانت

مجرد أسلاك شائكة! فرضوا علينا كل هذه القيود والعقوبات. سعوا لفرض الحظر في كل الميادين الاقتصادية، وغرضهم هو أن يفرضوا الركوع على الشعب الإيراني، ويخضعوا النظام، لكن نظام الجمهورية الإسلامية فرض الركوع على كل تلك السياسات والساسة بمساعدة صبركم وبصيرتكم أيها الشعب.

استطعنا توظيف هذه القيود كفرصة. هذه الممانعات والحظر والقيود جعلتنا نحقق في ميادين الإبداع والابتكار وفي كل المجالات تقدماً لم تستطع بلدان المنطقة طوال أعوام متمادية تحقيقه. لكن شعبنا وجهيرنا وشبابنا استطاعوا. لدي أمثلة من الثورات ولا مجال الآن لاستعراضها وربما ذكرتها في بعض اللقاءات. الثورات التي حدثت في عقد السبعينات الميلادية - أي قبل ثورتنا بسنوات - في بعض البلدان كانت أوضاعها مؤسفة وتدعو للثناء، ولا تقبل المقارنة بوضعنا. لقد استطاعت ثورتنا العظيمة التقدم إلى هذا الحد.

من التحديات الأخرى - وهو تحدّي أعقد بالطبع - تحدي إثارة الفتن حيث أثاروا فتنة مثل فتنة الثامن عشر من تير سنة 78 وفتنة سنة 88 بعد عشرة أعوام منها في طهران. كانوا يأملون أن يستطيعوا بهذه الفتنة دحر النظام وهزيمته وتوجيه ضربة له، لكن النتيجة كانت على العكس. في فتنة الثامن عشر من تير وبعد خمسة أيام من بدء عناصر الفتنة لفتنتهم انطلق الشعب بتلك الحركة العظيمة في الثالث والعشرين من تير لا في طهران فقط بل في المدن الأخرى أيضاً. وفي فتنة عام 88 وبعد يومين من أحداث يوم عاشوراء انطلقت حركة التاسع من دي العظيمة. وفي ذلك الحين كتب بعض المراقبين الأجانب الذين شهدوا الأحداث عن كذب في الصحافة الغربية، وقد قرأنا كتاباتهم، إن ما حدث في إيران في التاسع من دي لم يشاهد نظيره من حيث الحماس والتدفق إلا في تشييع جثمان الإمام الخميني. هذا ما فعله الناس. هكذا هو تواجد الجماهير وأبناء الشعب.

والملف النووي واحد آخر من التحديات. إرادة الشعب وإسناده ودعمه هو السور المنيع الذي استطاع أن يمنح المسؤولين الجرأة والقدرة ويجعلهم صامدين أمام تعسف الأعداء وإملاءاتهم. حصن الاقتدار الشعبي هو الذي استطاع تحقيق هذه الموفقية الكبيرة للبلاد.



من الساحات الأخرى المهمة جداً التي مارس شعبنا العزيز فيها دوره، ولم يكن أحد يتصور أن تلك الساحة تستوعب كل هذا الدور هي ساحة العلم والتقنية. من كان يتصور أن شبابنا سيخوضون غمار هذه الساحة بهذه الصورة؟ بمجرد أن طرحت فمضة إنتاج العلم والنهضة البرمجية على النخبة والتميزين في الجامعات انطلقت حركة عظيمة إلى درجة أنها أضحت خطاباً عاماً وحركة عامة. ينجز شبابنا اليوم أعمالاً حساسة كبيرة من الناحية العلمية والتقنية في كل أنحاء البلاد، وفي مختلف المحافظات، وفي المدن الصغيرة والكبيرة، وخصوصاً في المراكز العلمية والحساسة. ثمة أعمال آتت نتائجها مائة بالمائة، وبعض الأعمال في طريقها إلى الإثمار والنتائج. سوف يرى الشعب الإيراني هذا. هذه الأعمال والإنجازات العلمية تبعث على الثقة بالذات لدى الشعب الإيراني، وتتسبب في الازدهار الاقتصادي. التجارة المادية المرهقة هي نتيجة التقدم العلمي. لقد خاض شبابنا غمار هذه الميادين. والإحصائيات العالمية تؤيد ذلك. وبالطبع فإن المسؤولين بدورهم يبذلون جهوداً قيمة.

أريد أن استنتج من هذا الجانب من كلامي نتيجتين: الأولى: ليعلم العالم كله وليعلم أعداؤنا الغربيون أن هذا النظام نظام قوي مقتدر متين بسبب مشاركة الجماهير وتواجدهم. لا يخلط واضعو السياسات الغربيون بين إيران وبعض البلدان التي قامت فيها ثورة ثم غيرت طريقها كما أراد الغرب. الشعب هنا هو المتواجد في الساحة. النسيج العام للبلد هنا - أي الناس في القطاعات المختلفة ومن شتى الطبقات - له سهمه في الثورة وله رأيه وإرادته وعزمته المؤثرة. حتى لو أراد مسؤول أن يسير في الطريق المعوج، أو أن يطلق تحركاً آخر مقابل مسيرة الثورة، فإن الجماهير سوف تقصيه وتبعده. هذا هو الشيء الذي يجب أن يعلمه كل الناس في العالم ومخطوط السياسات في البلدان المختلفة، وهم يعلمونه بالطبع وقد شعروا به وأحسّوه. أمثال تواجدكم الشعبي هذا في الساحة اليوم هو الذي وهب الرصانة والاعتدال للنظام، ومن الضروري حقاً أن أقدم الشكر لحضوركم هذا في الشوارع، وأن أعتذر في الوقت نفسه. أنا حقاً غير راض بكل هذا التكلف الذي يبديه الناس والتعب الذي يتحملونه في مراسم الاستقبال. (1) شكراً جزيلاً، شكراً جزيلاً، شكراً جزيلاً. إذن، النتيجة الأولى التي خلصنا إليها من تواجد الشعب ومشاركته هي أن يعلم الآخرون ويعلم العالم ويعلم مخطوط السياسات الاستكبارية وغير الاستكبارية أن هذه هي إيران. فهنا يوجد الشعب والجماهير والعزيمة العامة والهمة الوطنية.

أما النتيجة الثانية التي أريد أن استنتجها فهي في الواقع خطاب لكل المسؤولين الخثرمين في البلاد. أين ما عرف مسؤولي البلاد قدرات الناس واستخدموها كنا موفقين ناجحين. وأين ما كان هناك إخفاق فالسبب هو أننا لم نستطع تأمين مشاركة الناس في تلك الساحة. ليست قليلة القضايا والمسائل غير المحلولة عندنا. في كل القضايا المتنوعة في البلاد يجب أن يستطيع المسؤولون بمهاراتهم ودقتهم وإبداعهم أن يجدوا طرقاً لمشاركة الجماهير - كما حدث ذلك في ميادين الحرب العصبية جداً حيث فتح الطريق واستطاع البعض فتح هذا الطريق - ليكون الدرب مفتوحاً لكل من يريد المشاركة في هذا الميدان الكبير سواء كان شاباً أو شيخاً أو رجلاً أو امرأة. وهذا ممكن على مختلف الأصعدة، فهو ممكن على الصعيد الاقتصادي، فاقتصاد البلاد وإنتاج البلاد يمكن أن يزدهر أضعافاً بواسطة الجماهير وهمهم وأموالهم وابتكاراتهم ودوافعهم. سياسات المادة 44 التي دوّناها قامت على أساس هذه الفكرة. تم تحديد أهداف لمستقبل البلاد. لقد سمينا هذا العقد عقد التقدم والعدالة. ودوّنا سياسات المادة 44، ودوّنا ميثاق الأفق العشريني، ودوّنا سياسات الخطة الخمسية الخامسة. هذه التخطيطات والسياسات كلها قائمة على نظرة واقعية. لا أن عدداً من الأفراد جلسوا وكتبوا الخطة الخمسية أو ميثاق الأفق العشريني على أساس أوهمهم، لا، هذا أمر متطابق مع الواقع، ويستند على حقائق البلاد.

طيب، هذه أهداف مرسومة ومحددة. إذا جرى تأمين مشاركة الجماهير في هذه السبل ولأجل هذه الأهداف فإن هذه الأهداف ستتحقق حتى قبل المواعيد المقررة. كيف تحصل مشاركة الجماهير؟ هذه هي النقطة الرئيسية. هنا يجب أن يوفر المسؤولين الأرضيات والنماذج والمعادلات العملية والقابلة للفهم العام والتي يمكن الوثوق بها لمشاركة الشعب. يمكن القيام بهذه الأعمال في كل قطاع. السلطة التنفيذية والسلطة القضائية والسلطة التشريعية يمكنهم تأمين هذه الأمور بأساليبهم الخاصة، وبوسعهم الاستفادة من إبداعات الجماهير، وأفكارهم، وطاقتهم ودوافعهم، ونشاط شبابنا وهم شريحة واسعة وعظيمة. هذه من الأعمال التي يجب أن تنجز إن شاء الله من قبل المسؤولين باليات واضحة وشفافة. طبعاً أنجزت أعمال ومهام في مجالات متعددة وفتحت بعض الطرق، ولكن يمكن العمل أكثر من هذا، وتأمين مشاركة كل الناس، ليعلم الشاب، والشيخ، والصناعي، والمبدع أين موقعه من هذه المسيرة العامة. يجب أن ينتظم كل شيء بمثل هذه الآليات، كما في الماضي.

طبعاً للناس توقعاتهم، وهي توقعات في محلها. يجب أن يعرف المسؤولون قدر الناس ويثمنونه. تواجد الشعب وجاهزيته نعمة كبيرة جداً يجب علينا جميعاً معرفة قدرها. ليحمل المسؤولون نية الخدمة الخالصة. ما يتوقعه الناس من المسؤولين - خصوصاً في المستويات العليا - هو أن يتعاونوا ويتواصلوا مع بعضهم، ويكونوا متحدين ومتعاونين، سواء في المستويات العليا أو المستويات الأدنى منها، وأن يركزوا على أولويات البلاد، ويقدموا القضايا الأصلية، ولا ينشغلوا بالقضايا الفرعية والهامشية، ويعملوا عملاً دؤوباً من غير انقطاع. الناس يتوقعون الصدق ويتوقعون العمل بالوعود واجتناب الجدل والسجالات وتحاشي الانشغال بالهوامش والقضايا الفرعية، ويتوقعون الأمانة والتزاهة والنظافة ومواجهة المخالفات والحيانات. هذه المطالب تقع على رأس قائمة توقعات الناس. نحن مدراء البلاد إذا لم نستطع في بعض الأحيان إنجاز عمل من الأعمال - مدّة شارع أو بناء سدّ أو عمل اقتصادي معين - وقلنا للناس إننا لا نستطيع إنجازها فإن الناس لن يعترضوا. إذا قال مسؤولو البلاد إن هذه الإمكانيات غير متوفرة ولا نستطيع القيام بهذا العمل فإن الناس لن يعترضوا. لكن الناس يعترضون عندما نقصّر في مواجهة أصحاب المخالفات، وعندما نقصّر في متابعة العدالة. هذا ما لا يرتضيه الناس ويغضبهم. الخطوات والأعمال المدبّرة، والعزيمة الراسخة، وطلب العدالة، ومسألة مكافحة الفساد الإداري والمالي هي القضايا المهمة. في هذا الفساد المصرفي الأخير الذي حدث ولقت إليه أنظار الجميع أرى وأشاهد لحسن الحظ أن السلطات الثلاث تتعاون مع بعضها تعاوناً جيداً جداً. مجلس الشورى والحكومة والسلطة القضائية يعملون مع بعضهم من أجل متابعة الأمر. وعليهم متابعة المسألة والوصول إلى نتيجة، ومعاينة المخالف كائناً من كان، ليكون هذا عبرة للآخرين. طبعاً الوقاية مقدمة بالدرجة الأولى في مكافحة الفساد، ولكن إذا جرى تقصير في الوقاية وحدث فساد بنحو من الأنحاء فإن المتابعة هي العلاج. ويتعين عدم الغفلة عن هذه المسألة وسوف لن تكون هناك غفلة إن شاء الله، بل ستكون ثمة مراقبة ودقة لكي لا تكون هناك غفلة.

وقضية الثقافة الإسلامية وقيم الثورة أيضاً قضية مهمة، وهي أيضاً من مطالب الجماهير وتوقعاتهم. في كل أنحاء البلاد أين ما ذهبت، لا عوائل الشهداء فقط، بل كثير من الناس يتوقعون ويطالبون بمراعاة المظاهر والثقافة الإسلامية في المجتمع، وعلى المسؤولين خصوصاً أن يراعوا هذا المعنى.

وقضية فرص العمل والعمالة أيضاً قضية مهمة وقد تحدثنا عنها. طبعاً في هذه المحافظة وبعض المحافظات الأخرى تحظى قضية العمالة بأهمية أكبر. لقد أنجزت في بعض المناطق أعمال أفضل، وسوف تجري متابعتها إن شاء الله. وقضية تعضيد الإنتاج الداخلي وقضية الزراعة والصناعة هي أيضاً من الأمور التي ينبغي أن تحظى بالاهتمام ويجري إنجازها.

وما أروم التحدث عنه في هذا الجانب من الكلمة هو قضية الانتخابات. الانتخابات من جملة مظاهر مشاركة الشعب وتواجده في الساحة. طبعاً تفصلنا عن الانتخابات ثلاثة أو أربعة أشهر. وإذا تبقى لي من العمر شيء ستكون لي فرص أتحدث فيها مع الجماهير عن بعض النقاط إنشاء الله. ما ينبغي أن أذكره اليوم هو أنه مع كل انتخابات تُصخّ دماء جديدة في عروق البلاد، وتبث روح جديدة في جسم الوطن - إعلموا هذا - ولهذا السبب أراد العدو طوال هذه الأعوام التمدادية إما أن لا تكون هناك انتخابات أو تكون الانتخابات باهتة. لم نشهد انتخابات لم تعمل قبلها الأبواق الإعلامية للأعداء من أجل إضعاف الانتخابات في إيران. حصل هذا في كل الانتخابات وبأشكال مختلفة. إنكم واعون ويقظون وتستطيعون تشخيص ما الذي يقال وما الذي يفعلونه من أجل إضعاف الانتخابات وبث اليأس والحمول بين الناس لعدم المشاركة في الانتخابات. وسوف ترون مثل ذلك خلال الأشهر الثلاثة أو الأربعة المقبلة. اعلموا أن الانتخابات مكسب كبير للبلاد وللنظام وللشعب في كل الفترات. وضع مجلس الشورى مؤثر في الوضع العام للبلاد. مجلس الشورى هو الخور الرئيسي لاتخاذ القرارات في البلاد. هذه كلها تعبر عن أهمية الانتخابات.

هناك مسألتان أهم من كل المسائل في الانتخابات: المسألة الأولى هي تواجد الشعب ومشاركته التي يجب أن تكون واسعة وكبيرة. والمسألة الثانية هي الالتزام بالقانون في الانتخابات، والوفاء للقانون، واحترام أصوات الجماهير. لا يكون الأمر بحيث لو كانت الانتخابات طبقاً لآرائنا وميولنا قبلناها، وإذا كانت خلافاً لآرائنا «وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين» (2). إذا أعطونا الحق وتولي المسؤولية من نريد أذعننا للقانون، وإذا لم يتول المسؤولية من نريد رفضنا القانون ورفضنا أصوات الجماهير.. هذا غير ممكن. وقد كانت فتنة 88 من هذا القبيل. ادعوا أنهم ملتزمون بالقانون ثم لم يمنحهم الناس أصواتهم، أكثرية الناس منحوا أصواتهم لشخص آخر،

فطفقوا يثيرون الشجارات أن لماذا! وتسببوا في اضطراب البلد والشعب لمدة من الزمن، وأفرحوا الأعداء. وطبعاً لم يستطيعوا في النهاية الصمود أمام الشعب وتراجعوا.

ذنب مؤجج نيران فتنة 88 كان أنهم لم يرضوا بالقانون ولم يرضوا بأصوات الشعب. قد يكون لشخص اعتراضه بعد الانتخابات، لا بأس، لا إشكال في هذا الاعتراض، لكن له طريقه القانوني وكيف يجب أن يعرض اعتراضه هذا ويتابعه. إذا كنا نقبل القانون فيجب أن نسلك ذلك الطريق. هذه أيضاً نقطة أساسية.

ونقطة أخرى هي انتخاب نواب مخلصين مؤمنين مندفعين، وهذه بدورها مسألة على جانب كبير من الأهمية، لكن لدينا بعد الآن متسعاً من الوقت. يجب أن ينتخب الناس الذين لا صلة لهم بمواقع الثروة والقوة، والذين يريدون الناس فعلاً، ويعملون طبقاً لضمائرهم ودينهم وواجباتهم الثورية، والكلام في هذا الشأن طويل.

أما حول قضايا المنطقة. حول أحداث المنطقة والبلدان الإسلامية - مصر وتونس وليبيا واليمن والبحرين وباقي البلدان - سمعتم الكثير من الأخبار والتحليلات، وقد تحدثت حول هذا الموضوع عدة مرات. وأذكر اليوم نقطتين حول هذا الموضوع. الأولى هي أن الشيء الرئيسي الذي يبدو من هذه التحركات والأحداث في مصر وتونس وسائر البلدان هو هزيمة سياسات الاستكبار. هذا هو أساس القضية. منذ سنوات وأمريكا تحكم في هذه المنطقة. الحكومة في مصر والحكومة في تونس، وفي الأعوام الأخيرة القذافي المتظاهر بالثورية وذو السوابق الثورية، وكذلك حكام بعض البلدان الأخرى، كانوا مطيعين لأوامر أمريكا. كانت أمريكا متفردة بالمنطقة. وقد تغير هذا الوضع وانقلبت الصفحة وفتحت صفحة جديدة. وبالطبع فإن الأمريكان يبذلون أقصى جهودهم ومساعدتهم عسى أن يستطيعوا الهيمنة على الأوضاع، ولكن لا جدوى، فالشعوب قد استيقظت وتجرت. ما من أحد يستطيع مقارعة إرادة الشعوب. هذه هي النقطة الأولى والأصلية.

والنقطة الثانية هي: ليعلم شعبنا العزيز في كل أنحاء البلاد أن أحداث بلادنا لها تأثير بالغ في هذه البلدان. إنهم ينظرون لبلادنا، فإذا كنا قد حققنا التقدم والأمن والمشاركة العامة والثقة بالذات الوطنية والوحدة الوطنية فسوف يختارون درهم بهذا الاتجاه، ولكن إذا كنا نعاني لا سمح الله من

انعدام الأمن والضعف والركود والتفرقة - كل الأشياء التي يودّ الأعداء أن نعاني منها - فإن هذا سيبعث على بأسهم وقنوطهم ويقضي على توثبهم وحيويتهم. لذا فإننا نتحمل مسؤولية جسيمة في هذا المجال، وعلينا أن نسير ونتقدم - وقد عُرف الشعب الإيراني كنموذج - بحيث نكون شيئاً له قيمته لدى هذه الشعوب ويث فيها الحيوية والحركة ويفشي في نفوسها الأمل بالمستقبل.

والنقطة الأخيرة تتعلق بالقضايا والأحداث في الغرب. قضية أمريكا هذه قضية مهمة. هذه الحالة التي أثارت وأهاجت الشعب الأمريكي تحت عنوان «مُهضة وال استريت» هي شيء له أهميته. حاولوا أن يقللوا من أهمية الأمر، والآن أيضاً يحاولون أن يقللوا من أهميته. هؤلاء السادة الذين يدعون أن حرية التعبير عن الرأي شيء ضروري وأهم أنصار لحرية الرأي، بعد انطلاق هذه النهضة بأسبوعين أو ثلاثة لم تنشر الصحف المهمة في أمريكا خبر هذه التحركات باستثناء صحيفة واحدة، أما الصحف الباقية فاتخذت جانب الصمت! هؤلاء الذين إذا حدث في طرف من أطراف العالم - في مكان يعارض سياساتهم - أبسط شيء يضخمونه مئات المرات، هؤلاء سكتوا عن حركة بهذه العظمة ولم يذكروها. لكنهم بالتالي وجدوا أن لا مفرّ نفس أولئك المجتمعون هناك - وقد اجتمع في وال استريت بنيويورك عدة آلاف - ونظراؤهم المجتمعون في المدن الأخرى والولايات الأخرى في أمريكا، اضطروهم للاعتراف، لذلك فهم الآن يعترفون بهذا الحدث. وطبعاً يريدون ركوب الموجة، على أن القضية قضية مهمة.

من النقاط هي أن فساد نظام الرأسمالية أصبح محسوساً ومشهوداً عياناً لدى الناس هناك. قد يقومون هذه الحركة لكنهم لا يستطيعون تجفيف جذورها، وسوف تتصاعد هذه الحركة في يوم من الأيام بحيث تشلّ نظام الرأسمالية في أمريكا والغرب بالكامل.

النظام الرأسمالي الفاسد ليس عديم الرحمة مع شعوب بلدان أفغانستان والعراق وباقي المناطق وحسب، بل هو لا يرحم جماهيره أيضاً. رفع الناس في هذه التجمعات والتظاهرات البالغة عدة آلاف من النسب لافئات كتب عليها: «نحن 99 بالمائة». أي إن 99 بالمائة من الشعب الأمريكي - أكثرية الشعب الأمريكي - محكومون لواحد بالمائة. حرب العراق وأفغانستان يشعلها ذلك الواحد بالمائة، لكن قتلها وتكاليقها يدفعها أولئك الـ 99 بالمائة. هذا هو الشيء الذي أيقظ الشعوب ودفعها للاعتراض، وبالطبع فإن الأساليب الإعلامية والأعياب الحرب

النفسية للمسؤولين الأمريكيين ومنظمة السي. آي. أي وغيرهم أساليب جد جبارة وقاهرة، وقد تتغلب على الاعتراضات الشعبية، لكن حقيقة القضية قد بانت بالتالي، وسوف تبين وتوضح أكثر. هذا هو نظام الرأسمالية رغم كل ادعاءاته، وهذه هي الليبرالية الديمقراطية الغربية.

الذين يدعمون إسرائيل هم هؤلاء الواحد بالمائة. الشعب الأمريكي ليست له رغبة ولا دوافع لدعم إسرائيل، حتى يعطوا الأموال ويدفعوا الضرائب وينفقوا ليستطيعوا الإبقاء على الغدة السرطانية الإسرائيلية والحكومة الإسرائيلية المزيفة في منطقة من المناطق. ثم هناك نوع تعاملهم، من الكتمان والصمت، ثم التعامل الشديد العنيف في أمريكا وفي بعض البلدان الأوربية. في بريطانيا تعاملوا بشدة لا يلاحظ المرء عشرها في البلدان المتخلفة ذات الأنظمة الدكتاتورية. ثم يتشدقون بمناصرة حقوق الإنسان، ويزعمون حرية التعبير عن الرأي، وحرية التجمعات، ويتكلمون بالنيابة عن كل الناس في العالم. الذين كانوا يوصوننا باتباع أساليب نظام الرأسمالية، وأن نتعلمها، ونعمل بها، لينظروا إلى هذه الحقائق وليروا ما هو نظام الرأسمالية.. إنه طريق مسدود بالكامل. نظام الرأسمالية اليوم في طريق مسدود بالكامل. وقد تظهر نتائج هذا الطريق المسدود بعد سنوات، لكن أزمة الغرب قد بدأت بشكل تام.

العالم في منعطف تاريخي. ومقدور شعبنا العزيز والشعوب المسلمة والأمة الإسلامية العظيمة أن تمارس دورها. هنا ينفع الإسلام وتعاليم الإسلام ومنهج الإسلام الناس في العالم ويعالج شؤونهم. وهنا يمكن لنظام الجمهورية الإسلامية أن يثبت نموذجيته لكل الناس في العالم.

اللهم بمحمد وآل محمد، أنزل توفيقاتك على شعب إيران ومسؤولي البلاد. اللهم منّ بالنصر التام على شعب إيران كما وعدت عبادك المخلصين أن تنصرهم. ربنا أنزل رحمتك ولطفك وفضلك على أهالي هذه المدينة وأهالي هذه المحافظة وعلى هذه القلوب الطاهرة الفتية. ربنا خذ بأيدي شبابنا. اللهم اجعلنا من الذين قلت عنهم في القرآن الكريم: «يحبهم ويحبونه»(3). ربنا أرض عنا القلب المقدس لإمامنا المهدي المنتظر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1 - شعارات الجماهير: «لسنا أهل الكوفة حتى يبقى علي لوحده».. و«الدماء التي في عروقنا، هدية لقائدنا».

2 - سورة النور، الآية: 49.

3 - سورة المائدة، الآية: 54.